البنية السردية في رواية المجوس لـ إبراهيم الكوني
دلالات العنوان أنموذجًا

إعداد الباحث
محمد حسين إبراهيم غرارات

لملخص العربي:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على دلالات العنوان في رواية "المجوس" لإبراهيم الكوني الذي يشكل نصاً موازياً لنص المتن وينير أفق القارئ لما تحمله الرواية من دلالات معرفية وفكرية.

ويعتبر العنوان عنصرًا أساسيًا من عناصر الكتابة الإبداعية، وهو ينهض بدور هام في التعريف بالنص والإعانة على توجيه القارئ إلى مغاليق متنه.

وقد اختار الكوني البنية الخارجية لجميع رواياته من الشكل المستمد من التراث الطارقي، من حيث الرسوم والألوان، وشكل خاص في انتقاء العناوين ودرجة تركيبها والبعد الدلالي لمعانيها، وذلك ليوضح القارئ العلاقة القوية التي تربط المظهر الخراجي لرواياته وأهم المعاني التي يرتكز عليها التراث الطارقي.

English Summery

This research aims at identifying the meanings of the title in the novel "The Magi" by Ibrahim Al-Kony, which constitutes a parallel text of the text and illuminates the reader's horizon of the novel's cognitive and intellectual implications. The title is an essential element of creative writing, and it plays an important role in introducing text and helping to guide the reader to its omnibus. Al-Kooni chose the external structure of all his novels from the form derived from the heritage of the world, in terms of drawings and colors, and a special form in the selection of titles and the degree of composition and the dimension of semantic meanings, to show the reader the strong relationship between the appearance of the exegesis of his novels and the main meanings on which the heritage is based.

مقدمة:

الصحراء عند إبراهيم الكوني هي وسيلة إلى فهم الحياة والربط بين الطبيعة الصماء والثقافة السياحية التي تنتجها لغة النص الروائي، فيخرج من هذه الطبيعة الصحراوية علامات دالة على مخيال سحري وأسطوري على إحياء التراث الطارقي.

وفي كل رواية يبنى لنا الكوني صرحًا سرديًا تحفه الشعرية العارمة، بدلالاتها الحرفية، وتراكيبها البلاغية، التي تتطلب قراءة واعية، قراءة تغوص في جسد النص، وتَعْبر روح الإبداع الروائي.

ونلاحظ أن الصحراء هي الخصصية المشتركة في جميع روايات الكوني فيتخذها رحماً لأحداثها، فهناك سمتان بارزتان تقدمان لنا معظم هذه الأحداث وهما البناء الخارجي والبناء الداخلي لها.

ويشمل البناء الخارجي العناوين والرسوم التي ترشح غلافها وما قيل في المؤلف من آراء سنشير في هذا المبحث الموسوم بعنوان "دلالات العنوان في رواية "المجوس" لإبراهيم الكوني التي جاء شكلها مستمدًا من التراث الطارقي، رسمًا، وألوانًا واهتمامًا في انتقاء العناوين الفرعية لهذه الرواية والبعد الدلالي لمعانيها.

أولاً: مفهوم العتبات الخارجية:

تحيلنا الكلمة الأولى لهذا العوان "العتبات" إلى التأصيل قبل التفصيل وذلك بالحديث عن معرفة العتبات النصية داخل النص الروائي، التي تعبر عن المقومات الأساسية التي أسماها "جيرار جنيت" المتعاليات النصية أو التعالي النصي الذي حدده في كتابه [أطراس] ١٩٨٢ وقد جاءت هذه المتعاليات في خمسة أنماط هي: "التناص – المناص – المتناص – النص

اللاحق – النص الجامع" [١] وهي تعين القارئ أو المتلقي على فتح منغلقات المتن، وإضاءة جوانبه "وتعتبر العتبات مكملة للنص ولا يمكن أن يكون دورها بديلاً تاماً من دور اللقاء الفعلي بين القراءة والنصوص نفسها".[٢]

وتعتبر هذه المقومات أساسية في عالم النص الأدبي "وخطاب أساسي ومساعد سخر لخدمة شيء آخر هو النص، هذا ما أكسبه بعدًا تداوليًا وقوة إنجازيه وعلى الباحث أن يعي حدودها وتطبيقاتها ومرجعياتها".[٣]

وعند البحث عن المعنى اللغوي لكلمة العتبات نجدها في "لسان العرب" العتبة: أُسكُفَّةُ الباب التي توطأ والجمع عتب وعتبات والعتب الدرج وعتب الدَّرج: مراقبها إذا كانت من خشب وكلُّ مرقاة منها عتبة وعتب الجبال مراقبها وتقول: عَتّبت لي عتبة في هذا الموضوع إذا أردت أن ترتقي إلى موضع تصعد فيه، وقيل عَتب العُود: ما عليه أطراق الأوتاد من مقدمه". [١]

أما مفهوم العتبات اصطلاحًا: فهي مجموع العناصر المحيطة بالنص كالعناوين والإهداءات، والمقدمات، وكلمات الناشر وكل ما يمهد للتحول إلى النص أو يوازي النص". [٢]

وقد اهتم العرب بمفهوم هذا المصطلح قديماً وعرفوا أهميته فكان يعرف عندهم بشكل إشارات وتوجيهات متناثرة في مصنفات عامة، ومن ثم بدأ يفرد في مؤلفات خاصة تحدد قواعد كتابة النصوص، وضوابط تفصيل خطاباتها.

---

[١] - عبد الحق بلعابد "عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص"، منشورات الإختلاف، الجزائر – ط١ – ٢٠٠٨ – ص٢٦.

[٢] - حميد الحمداني – عتبات النص الأدبي "بحث نظري" علامات في النقد بجدة، المجلد١٢، الجزء ٤٦ – ديسمبر ٢٠٠٢، ص١١.

[٣] - يوسف الأدريسي، عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات – المغرب – ٢٠٠٨م، ص١٢.

[١] لسان العرب لابن منظور، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية، صر – ج٩ – ص٢٩.

[٢] - حميد الحمداني – عتبات النص الأدبي بحث نظري، ص١٤.

ونجد بعض علماء النقد الحديث "لا يسميها العتبات، بل يسميها النص الموازي" [٣] وقد عرف سعيد يقطين النص الموازي "بأنه عبارة عن تلك البنية النصية التي تشترك وبنية أصلية في مقام سياق معيشين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة مستقلة وهذه البنية النصية قد تكون شعراً، أو نثراً، وقد تنتمي إلى خطابات عديدة، كما أنها قد تأتي هامشاً أو تعليقاً على مقطع سردي أو حوار أو ما شابه" [٤] ويعتبر جزءاً رئيسياً في التشكيل السردي ويعني التفاعل بين النص السردي والنصوص السابقة، ويعرفه محمد بنيس "بأنه تلك العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن تتصل به اتصالاً يجعلها تتداخل معه إلى حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالاً يسمح للداخل النصي، كبنية وبناء، أن يشتغل وينتج دلاليته". [١]

ومما سبق يتضح لنا أن هناك علاقة قوية بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فالعتبات نصوص موازية تحف – كالروح – جسد النص حائمة حوله، تمنحه حياة متجددة وحيوية كبيرة، وعلى ذلك فهي تشبه عتبة البيت التي تربط الداخل بالخارج وتوطأ عند الدخول فلا غنى للداخل إلى المنزل عن عتبته فلا يمكنه الولوج إلى داخل البيت دون أن يطأ عتبته، كذلك النص الأدبي لا تلج إلى داخله دون تلك العتبات أي النصوص الموازية له اختار الكوني البنية الخارجية لجميع رواياته الشكل المستمد من التراث الطارقي، من حيث الرسوم والألوان، وشكل خاص في انتقاء العناوين ودرجة تركيبها والبعد الدلالي لمعانيها، وذلك ليوضح للقارئ العلاقة القوية التي تربط المظهر الخارجي لراوياته وأهم المعاني التي يرتكز عليها التراث الطارقي.

---

[٣] - محمد بنيس – الشعر العربي الحديث – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – ط١ – ١٩٨٩م، ص٩٦.

[٤] - سعيد يقطين – انفتاح النص الروائي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط١ – ١٩٩٢م ص٤٩.

[١] - محمد بنيس – الشعر العربي الحديث، بنيات وإبدالاتها التقاليدية، ص٧٦.

ثانياً: مفهوم العنوان:

إن أول ما تقع عليه عين القارئ وهو يتفحص الكتب والمؤلفات "العنوان" باعتباره أول مفتاح قد يتأول به مضمون هذه القصة أو تلك الرواية، ولذلك فاختياره من أولويات المؤلف فيه يشد انتباه القارئ ويروج لبضاعته، وكذلك هو مكون أساسي من مكونات الكتابة الإبداعية، وينهض بدور هام في التعريف بالنص والإعانة على توجيه القارئ إلى مغاليقه، ويعتبر العنوان العلامة الجوهرية، والعنصر الأهم من عناصر النص الموازي حتى أصبح يستقل بعلم خاص هو علم العنونة أو العنوانيات ويعتبر العالم اليوهوك Leohoek"[١] هو أول مؤسس لهذا العلم وألف كتاباً في هذا العلم وسماه "سمة العنوان" Lamarquedu titve حيث نجد في هذا الكتاب تعريفًا لهذا العلم ويقول بأنه: مجموعة العلاقات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه تشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف"،[٢] ويعرفه أيضًا لطيف زيتوني فيقول: "هو الاسم الذي يميز الكتاب بين الكتب، كما يتميز الإنسان باسمه بين الناس والعنوان يكون للكتاب، وقد يكون للفصول داخل الكتاب، ولكن عنونة الفصول ليست مطردة في الروايات، وهي تكاد تغيب في المسرحيات وفي دواوين الشعر يتميز العنوان اليوم بالإيجاز، وقد يلجأ الكاتب إلى عنوان فرعي للتوضيح".[٣]

---

[١] - نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة، دار توبقال للنشر المغرب، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٥.

[٢] - المصدر السابق، ص٦٣.

[٣] لطيف الزيتوني: معجم ومصطلحات نقد الرواية – عربي، انجليزي، فرنسي – مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص١٢٥.

ويعتبر العنوان من أول العتبات التي يطؤها الباحث السميولوجي "لاستنطاقه واستقرائه بصريًا ولسانيًا، أفقيًا وعموديًا"، [١] ويرى جون كوهين "أن النص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسندًا فإن العنوان مسند إليه، كما يؤكد على أن العنوان من سمات النص النثري مهما كان نوعه؛ لأن النثر قائم على الوصل والقواعد المنطقية بينما الشعر يمكن أن يستغني عن العنوان"، [٢] كذلك يرى "رولان بارت" أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سميولوجية وتحمل في طياتها قيماً أخلاقية واجتماعية وأيدلوجية فليس هناك عنوان بدون نص.. ليس العنوان ملفوظاً مستقلاً لأنه بدون موضوع لا يمكنه أن يشتغل" [٣] وبما أن العنوان عتبة مهمة في النص الأدبي ومظهراً من مظاهر العتبات ذو طبيعة مرجعية، فهو يحيل إلى النص كما أن النص يحيل إليه.

إن العنوان له عدة وظائف مهمة تعين القارئ لمعرفة الجنس الأدبي وأهميته باعتباره ملفوظًا لغويًا واصفًا يحيط بالنص ولا يتجاوزه ليلتبسه دون أن يخترقه، وقد حدد "الجيرار جنيت" وظائف العنوان في ثلاثة هي:

١- "الوظيفة التعيينية، التسموية.

٢- الوظيفة الإغرائية أو التحريضية والتي سميت بالوظيفة التداولية.

٣- الوظيفية الأيدولوجية".[١]

وعند كتابة العنوان في العمل الأدبي يجب أن تتوفر شروط لاختيار اسم العنوان وارتباطه بمتن القصة أو الرواية وهذه الشروط كما حددها العالم "فليس اسكاروس" هي:

---

(١) - ميل حمداوري: السيموطيقة والعنوانة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون وللأدب "الكويت"م٢٥، عدد ٥٣ يناير، مارس ١٩٩٧، ص٩٧.

(٢) _ المصدر السابق، ص٩٧.

(٣) جوزيف بيتركا ميروييك، وظائف العنوان: فصل من كتاب الكشف عن المعنى في النص السردي "السرديات والسيمائيات" ترجمة عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠٠٨، ص٢٦٤.

(١) _ جيدار جنيت – من النص إلى المناص، ص٧٤.

أ- ارتباط العنوان بمضمون الرواية أو أحد مكوناتها كالشخصية أو الموقف أو الأداء أو الغرض أو النمط.

ب- جاذبية العنوان وعدم التقليد ومراعاة أذواق أكبر قطاع من القراء.

ت- صياغة العنوان في أقل عدد من الكلمات ليسهل على القارئ ترديده عند تذكر الرواية".[٢]

وكما أن للعنوان وظائفًا وشروطًا كذلك له أشكال كثيرة فمنها: العنونة التراثية والعنونة الكلاسيكية التي تشمل العنونة التاريخية والرومانسية والواقعية.

وقد ظهرت في العصر الحديث العنونة الحديثة وتنقسم إلى:

العنونة الرمزية والمجازية والشاعرية والهجائية والأسطورية والتاريخية التراثية.

ومن خلال هذا التوضيح البسيط لوظائف وأشكال وشروط العنوان نجد أنفسنا عند سؤال مهم وهو هل توفرت هذه الشروط والوظائف في رواية "المجوس" ومن أي أشكال العنونة جاء هذا العنوان.

ثالثاً: دلالات عنوان رواية "المجوس":

إن اختيار الكوني لهذه العناوين التي تحمل الكثير من الدلالات الفكرية تبحر بنا من الشحنات العاطفية وكذلك الالتفاتات النفسية والشعرية التي تبحرنا في عالم من الغرائب والعجائب ومن هذه العناوين "تزيف الحجر – رباعية الخسوف – عشب الليل – التبر – من أنت أيها الملاك؟ والمجوس.. وغيرها" لا دليل على أن الكاتب استخدم العنونة الحديثة التي تقوم على التكثيف الدلالي والإثارة وتفعيل البعد البصري لموطن العنونة باعتبار العنوان هو المفتاح الرئيسي لدخول المتن.

[٢] فليس اسكاروس، استقراء معايير أدبية تربوية لتحليل الروايات، المركز القومي للبحوث التربوية والتقنية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥٥٦.

ومن أهم العناوين في روايات الكوني والذي شدّ انتباهي هو عنوان رواية "المجوس" واخترته موضوعاً لدراستي وبحثي لأن هذه الرواية تعتبر من أشهر الروايات العالمية التي لاقت ترحيباً واسعاً ونالت "جوائز عالمية كثيرة"[١] وكذلك تعتبر الرواية من الأدب الحديث الذي يمكن أن نطبق عليه الدراسات الحديثة في البنية السردية.

المجوس: هذه الكلمة مؤلفة من – أل – التعريف – الميم – الجيم – مع حرف المد – الواو – السين.

فأل التعريف وكما يقول النحاة لها ثلاثة أنواع هي: "العهدية – الجنسية – الاستغراقية"[١] أما أل التعريف الموجودة في عنوان روايتنا "المجوس" فهي من النمط الثاني، أي جنسية وعبرت لنا عن جنس معين أو طائفة من الناس وأتباع دين من الديانات وهم "المجوس" وعند البحث في كلمة المجوس يظهر لنا عدة معاني ومن أهمها:-

١- بأنهم قوم وثنيون.

٢- يعتنون بالسحر والخرفات.

٣- يعتقدون بنجاسة الجسد البشري بعد موته.

٤- يقدسون النار والتراب والذهب والماء.

ولكن عنوان "المجوس" في بحثنا على الرغم من صغره واختصاره لكنه يوضح لنا العديد من الدلالات والإشارات التاريخية والنفسية والدينية والعقائدية والاجتماعية.. وبالرغم من ان الموضوع مكون من كلمة واحدة لكن هذه الكلمة لها ثقل نفسي وفكري يدعو إلى العديد من التساؤلات وتحمل الكثير من الأبعاد:

البعد الديني: عندما تقع عينا القارئ على هذه الكلمة يخطر في ذهنه بأن المجوس أصحاب دين وثني، حيث أن المجوس قد ورد ذكرهم في كتاب الله العزيز في **قوله تعالى:** إِنَّ

(١) - نالت الجائزة السويسرية العالمية سنة ٢٠٠٥.

[١] - ابن هشام الأنصاري – شرح قطر الندى وبل الصدى – المكتبة العصرية.

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾.[٢]

ومن خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن المجوس هم أمة من ضمن الأمم التي ذكرها الله عز وجل والتي صنفها كلاً على حسب دينها بغض النظر عن جنسها فقال سبحانه وتعالى "إن الذين آمنوا" أي: هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى: "الذين هادوا" هم اليهود: أي أتباع موسى عليه السلام، وكذلك في قوله تعالى "والصائبين والنصارى والمجوس" فدل على كل أمة باسمها فالصابئين هم فرقة من العراق تدعي أتباع إبراهيم عليه السلام والنصارى هم أتباع عيسى عليهم السلام، والمجوس هم الذين أشركوا بالله آلهة أخرى يقصد بهم مشركي العرب.

ويوضح لنا الإمام القرطبي أصحاب المجوس فيقول: "المجوس" عبدة النيران القائلين أن العالم أصلين: نور وظلمة، قال قتادة: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمان، وقيل "المجوس" في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين والأيم والأين"[١] فهذا المفهوم يوضح لنا أصل كلمة المجوس من ناحية البعد الديني لا كما يراها الروائي إبراهيم الكوني وإنما استدل بهذا الاسم لأنهم جعلوا الذهب والتبر بمثابة آلهة لهم.

١- البعد التاريخي والعقائدي:

تعتبر كلمة المجوس قديمة فكانت تطلق على المجوس القدامى الذين يعبدون الله كما يقول أبو الحسن علي الحسين الندوي في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين فيقول عن المجوس "كانوا في الزمن القديم يعبدون الله، ويسجدون له ثم جعلوا يمجدون الشمس

[٢] - [سورة الحج:١٧].

[١] - أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٩٦٥ – ج١٢ – ص٢٣.

والقمر والنجوم وأجرام السماء، وجاء زرادشت صاحب الديانة الفارسية فيقال إنه دعا إلى التوحيد وأبطل الأصنام وقال إن نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون وأمر بالاتجاه إلى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة لأن النور رمز للإله، وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة النار والهواء والتراب والماء".[١]

وبعد ذلك ظهر لهؤلاء الزرادشتيين علماء بدوا يشرعوا هذا الدين فحرموا على الناس الاشتغال بالأشياء التي تحتج إلى النار فاتجهوا إلى أعمال أخرى مثل الفلاحة والتجارة ومن هنا أصبحت النار آلهة يعبدونها عينًا ويبنون لها هياكل ومعابد وانعدمت كل الأديان السابقة.

ومن هنا أصبحت ديانة المجوس "عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصة في ساعات خاصة، أما في خارج المعابد وفي دورهم وفي دوائر حكمهم وتصرفهم وفي السياسة والاجتماع، فكانوا أحراراً يسيرون على هواهم وما تملي عليهم نفوسهم أو ما يؤدي إليه تفكيرهم أو ما توحي به مصالحهم"[٢] ومن هنا أصبح تقديسهم للأكاسرة بدعوى أنه يجري في دمائهم دم إلهي لذلك لا ينظرون إليهم كآلهة لهم الحق على كل إنسان وليس لإنسان حق عليهم"، ويقال أن أصل كلمة زرادشت فإنها تتكون من كلمتين "زرت وأوشتره أي الذهب والجمال وذهب بعض المستشرقين إلى أنها تعني صاحب الجمال الذهبية ولكن بعضهم اعتبر أو شتره بمعنى النور والضياء واعتبر اسم زرادشت ذو النور والضياء الذهبي أو الشخص ذو الهالة الربانية".[١]

إذن فإن كلمة "المجوس" حقيقه وموجودة في التاريخ وكتب الديانات واستخدمها إبراهيم الكوني عنواناً لروايته لما تحمل من معاني ومفاهيم تدل على الحياة الصحراوية.

---

(١) - أبو الحسن علي الحسيني الندوي – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – دار الشهاب – باتنة – الجزائر – ط ١ – ٥ – ١٩٨٥، ص٢٣١.

(٢) - المصدر السابق: ص٢٣٠.

(١) - نوري اسماعيل: الديانة الزرادشتية مزديسنا، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط٥، ٢٠٠٣، ص١١.

٢- البعد الفني:

جاء عنوان الرواية "المجوس" على الصفحة الأولى للغلاف بشكل بارز وجلي وواضح في أعلى الصفحة بخط كوفي عريض يتوسط السطر "إذ الكتابة الكوفية تعتبر أصلاً لجميع الخطوط العربية وهي تتميز بالاستقامة والوضوح".[٢]

كما أن العنوان يدل على الأسطورة والرمز ويتضح لنا هذا من خلال متن الرواية الذي يتمحور حول محاولة استعادة الجنة المفقودة أو إقامة المدينة الأرضية "مدينة السعادة"، ونرى أن الكوني استخدم بناءً فنيًا جميلًا في هذه الرواية حيث اعتقد أهل الطوارق أن ضياع الفردوس منهم تعود إلى خطيئة الجد الأكبر للبشر ومندام بلغة الطوارق وهو سيدنا – آدم عليه السلام – فخروج مندام، وشقاوه في العالم؛ هو نتيجة لاستيلاء فتنة المرأة وإغوائها على عقله وقلبه وجسده، أما نسله فهو مسكون بفتنة الذهب وجبروت القوة ولذا فشلت كل المحاولات في بناء المدينة الأرضية ومن هنا جاء المصير الفاجع المأساوي الذي أحاط بمدينة الذهب "تمبكتو"[١]

وقد استعمل الكوني في عنوان الرواية الرمز العديد من الشخصيات اللاهثة خلف الثروة والمال والسلطة والنفوذ فهذا يدل على التركيبة الفنية في هذه الرواية فأحياناً نجد "المجوس" (السلطان أورغ) وتارة صوفياً مزيفاً (شيخ الطريقة القادرية) أو عرّافاً (العجوز تميط) أو تاجراً (الحاج البكاي) أو باحثاً عن الانتقام (القاضي الشنقيطي) بل لعل في داخل كل إنسان مجوسي يتحين غفلة من العقل والروح يطل برأسه ويتلبسه.

وعلى هذا فإن الكوني استطاع أن يكون علاقة قوية تربط العنوان بالنص في هذه الرواية بالرغم من صعوبة الحصر بفعل التداخل في شكل العنوان من الأسطوري إلى الرمزي.

(٢) - خالد قطيش: الخط العربي وآفات تطوره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص٦٥.

[١] -تمبكتو: هي العاصمة الثقافية والتراثية لجمهورية مالي، تعد جوهرة الصحراء الكبرى.

يفاجئنا الروائي الليبي إبراهيم الكوني كعادته في جميع رواياته بوجود عناوين فرعية كدعامة للعنوان الرئيسي لأن جميع أعماله ملحمية يصور لنا عالماً تتقاطع فيه الأساطير الموروثة، وتعاليم الأسلاف بتأملات الحكماء والشيوخ والعرّافين، وأشواق الباحثين عن الله، والحرية وصبوات الطامعين بامتلاك الذهب والسلطة من كل طوائف البشر.

وبالرغم من وجود هذه العناوين الفرعية إلا أنها تحمل نفس فكرة العنوان الرئيسي حب أبطال الرواية في امتلاك السلطة والثروة والمال، هكذا نجد أن العنوان مرتبط بالمضمون وله جاذبية كبيرة جداً تدفع القارئ إلى التمعن في هذا النص، ويعتبر العنوان هو المفتاح الذي أمدنا بمجموعة من المعاني التي ساعدتنا في فهم معنى المتن "وفك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة"[١] وعند قراءة الرواية وجدنا أن كلمة "المجوس" تكررت في الجزأين مائة وخمس مرات "١٠٥" منها أربع وأربعون في الجزء الأول وواحد وستون في الجزء الثاني وفي كل مرة نجد "الكوني" يصف هؤلاء المجوس بأنهم عُباد الذهب والتبر وأنهم كهنة وسحرة ووثنيون، ونذكر بعض الأمثلة على المجوس من داخل الرواية.

٣- المجوس عباد الذهب:

١- "**سمعت جدتي تقول نقلاً عن أنهي "إن المجوس ليس من عبد الله في الحجر، ولكن من أشرك في حبه الذهب**". **ص٥٧، ج٢.**

٢- "**ولكن المجوسي الحقيقي هو من باع الله مقابل المال واستبدله في قلبه بحب الذهب**". **ص٤٠٩، ج١.**

٣- "**أردت أن أقول إنها مجوسية حقًا؛ لأنها لا تؤمن في قلبها حالة عار الذهب**". **ص٤١٠، ج١.**

٤- "**إن الذهب لن يعطيك نفسه إلا إذا أخذ نفسك بالمقابل، لقد سمح حكيمًا محبوبا بالتكلم بهذه النبوءة في كانوا**". **ص٣٥٩، ج٢.**

(١) - مقال بعنوان السموطيقا والعنونة – جمال حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت – عدد ٢٣ – ص٩٠.

٤- المجوس والسحرة والكهنة:

١- "ولكنهم فوجئوا بتدخل السحرة"، "المجوس" ص١٦٩، ج١.

٢- "إنه ليغزو الأدخال ويقتل الكهنة والمجوس". ص٦١، ج٢.

٣- "لا الذهب يهمني ولا السحر ولا دين المجوس". ص١٩٦، ج٢.

٤- "لكن مضاربات المعدن الشيطاني أنسته التفكير في العودة، أنسته أن العراف المجوسي كان يعينه هو بالذات". ص٣٥٩.

٥- المجوس الوثنيون وسكان الأدغال.

١- "إقامة أول نظام إسلامي في قارة من الزنوج المجوس". ص٩٠، ج١.

٢- "لم تشفع توسلات العقلاء بإقناعه بالتراجع عن طعن مشاعر المسلمين بشعائره المجوسية". ص١٦٧، ج١.

٣- "منع علاج الوجد بالشَّعر الملحون والرقص ووصف هذه الطريقة بأنها رجس من عمل الشيطان ومجوس الأدغال". ص٧٠، ج١.

٤- "إرادة الفارس تنفع مع مجوس الأدغال لكنها لا تنفع مع أميرة أير". ص١١٢، ج٢.

مما سبق يتضح لنا أن الروائي الليبي إبراهيم الكوني قد أحسن في اختيار العنوان وتطبيق كل الشروط والوظائف التي تخص عتبة العنوان لما لها من أهمية استراتيجية بالغة في صياغة المتن الروائي، ولفلسفة التسمية التي يحظى بها في الكينونة البنيوية للنص "والتسمية اعتماداً على هذه الرؤية هي آلية التعين والتحديد والتصوير؛ إذ في هذا السياق يحل محل الشيء صوتية وخطية ورقمية" فعنوان "المجوس" مطابقاً للرواية حيث يريد الكاتب أن يصف لنا طبائع هذه الفئة من الناس وخصائصهم ونظرتهم إلى الحياة ومعاشهم ومآلهم ويخبرنا عن المجوس في هذه الرواية ويصفه بأنه كل من عبد التبر والذهب واستعمل السحر والعوالم الخفية للسيطرة على عقول الناس.

ومن المعلوم أن لكل مبتدأ خبر فنلاحظ كيف أغرى العنوان "المجوس" الاسم المبتدأ القارئ في البحث عن خبر لهذا الاسم من خلال أحداث هذه الرواية الضخمة التي تحمل في طياتها شتى من المجالات الدينية والعقائدية والفكرية والتاريخية، ويتضح لنا من خلال هذه الأحداث والمجالات معرفة من هم المجوس؟ وما مصيرهم؟ وكيف تتم عملية البحث عن الفردوس الضائع واستعادة الجنة المفقودة.

أما بالنسبة لعناوين الفصول فهي لا تقل أهمية عن العنوان الأصلي للرواية بل هي امتداد له، وغالبًا ما تتناص عناوين الفصول مع العنوان المؤلف لتيسير عملية تأويله وتفكيك مكوناته لتدخل في علاقات جدلية مع بنية العنوان الرئيسي للرواية "فهي تمكننا من ربط العلاقة بين العناوين الداخلية وعنوانها الرئيسي من جهة وبين العناوين الداخلية وفصولها من جهة أخرى؛ لأن العناوين الداخلية باعتبارها بنى سطحية هي عناوين واصفة شارحة لعنوانها الرئيسي باعتباره بنية عميقة فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيسي لتحقق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوبين الداخلية والرئيسية والنص".[١]

وقبل البحث ودراسة عناوين فصول رواية "المجوس" يجب أن نشير إلى أن العنونة في الروايات الحداثية على آليات التكثيف الدلالي والإثارة والمفارقة والتناص وتفعيل البعد البصري لموطن العنونة باعتبار "العنوان" يشكل تساؤلاً ويخلق انتظارًا،[١] إذًا فقد اختار الكوني في عناوين الفصول لروايته "المجوس" طبقًا لهذه الدلالات والآليات ليكشف لنا عن المجاور الأساسية لكل فصل في الرواية من خلال عنوانه الذي بناه بعناية وإتقان.

(١) - عبد الحق بلعابد، عتبات جرار جنيت – ص١٢٧.
(١) - خالد حسن في نظرية العنوان، ص٣٧٢.